

## اجتهادات أحزان <<المسيح>>

---

ليست بيت لحم وحدها التي خيم عليها الحزن في عيد الميلاد. كل المنطقة المحيطة بمهد النبي عيسى عليه السلام تفتقر إلى المعنى العميق لهذا العيد، وهو المحبة والمودة والتسامح والسلام.

كان الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي هو المصدر الرئيسي للكراهية والحرب والعنف، لسنوات طويلة. ولكنه لم يعد إلا واحداً من صراعات. تخلق طبقات أعمق من الكراهية والعنف.

قاوم التقدميون العرب على مدى عقود محاولات تدين الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، وتحويله إلى صدام إسلامي – يهودي. ونجحوا في ذلك بدرجة معقولة، وإن لم يكن نجاحهم كاملاً. غير أنهم فشلوا في وضع حد لتحويل معارك سياسية تستهدف الهيمنة على المنطقة إلى صراعات دينية. مذهبية يُستدعى فيها أسوأ ما في تراثنا منذ 14 قرناً، وأكثره انحطاطاً.

كان في إمكاننا تصور مدى أحزان عيسى عليه السلام كلما حل عيد الميلاد، بينما بيت لحم تحت الاحتلال الصهيوني. ولكن لم يعد في استطاعتنا تخيل حجم هذه الأحزان حين يأتي عيد الميلاد في الوقت الذي صارت المنطقة المحيطة بمهده أسيرة صراعات دموية يُقتل فيها الناس على الهوية، ويُهجَرُون من مدنهم وبلداتهم بسبب انتمائهم المذهبي.

كنا نأمل أن يأتي عيد الميلاد ذات يوم وقد تحرر مهد المسيح، وصارت بيت لحم حرة تستقبل ملايين الزوّار، وقد امتلأت ساحاتها بأشجار الميلاد الجميلة المزينة بالأضواء الذهبية.

وتواضع الأمل بعد ذلك فصار محصوراً في تحرر بيت لحم، وغيرها من مدن وبلدات فلسطين من ويلات الانقسام الفلسطيني وخيباته. ولكن من ذا الذى يستطيع الاحتفاظ بأمل فى أن يأتي عيد ميلاد فى أجواء أقل إثارة للحزن والألم، بينما الصراعات البدائية تتفاقم فى المنطقة، والانقسام يزداد عمقاً فى أوساط الفلسطينيين ويضرب حركة "فتح" التى قضت السلطة الوهمية على روحها فشاخ القابضون عليها فى مواقعهم، وأغلقت ممارساتهم أى باب أمام تصحيح مسارها، وتفوقوا فى قمعهم لكل من يحاول الإصلاح على طغاة ومستبدين يملكون سلطات حقيقية فى بلاد مستقلة.

وهكذا تزداد الأحزان فى مهد المسيح، وتبدو احتفالات عيد الميلاد فيها هذا العام خجولة بعد تضاول الأمل فى أن تعرف المنطقة شيئاً من التسامح الذى يُمثّل المعنى الجوهرى لهذا العيد.